ظهور الاخطبوط

... هذا يوم الجمعة وعلى غير عادته بقى سفيان في السرير إلي ان حانت صلاة الجمعة ، فذهب للمسجد وعاد بعدها يتناول افطاره ثم قضى بقية يومه يراجع محاضرات الاسبوع وبين فترة واخرى يتابع التلفزيون ما بين برامج سياسية واخرى اخباريه . ثم، يرن جرس الهاتف ، واذا به صديقه مروان ، يطلب منه ان ياتى اليه ليجلسا سويا ويقضيا بقية اليوم مع بعضهما ، وكذلك ليرى ابيه ويتعرف عليه ، و بالفعل يوافق سفيان ويرتدى ملابس للخروج ، ويتوجه نحو بيت صديقة القاطن ، بمنطقة التجمع الخامس بالقاهرة ، وبعد ان استقل سيارة اجرة للوصول للتجمع الخامس ذلك الحى الراقى ، يصل سفيان إلي الفيلا الخاصة بصديقه ليقف امام بوابتها الحديدية الضخمة والتي تدل على مدى رفاهية ساكنيها ، يجد فرد الامن المكلف بحراسة بوابة الفيلا فى كشك اشبه بتلك الاكشاك التى توجد امام السفارات ، ويخبره سفيان بانه اتى لزيارة

صديقة مروان ، ويتصل فرد الامن بتليفون داخلى بينه وبين الفيلا بالداخل مخبرا مروان ان صديق له يدعى سفيان بالخارج ، وما هي الا دقائق معدودة ويخرج اليه مروان مستقبلا إياه بالاحضان و مرحبا و يدعوه إلي الدخول ، يدخل سفيان إلي فيلا صديقه والتي تنم عن مستوى فاحش من الثراء ، فهى تتكون من طابقين بخلاف الدور الارضى ، وامامها حديقة كبيرة بها حمام سباحة ، على

جانبيه مقاعد وثيره ، ومنها ما هو اقرب للاريكة من اجل الاستراخاء اثناء مشاهدة حمام السباحة ، بالفعل مستوى يدل على ان قاطنها او مالكها لا يقل عن شخصية مرموقه كرجل اعمال او شخصية كبيرة المقام ، يصطحب سفيان صديقه إلي داخل الفيلا حيث الاستقبال الفسيح بالطابق الارضى ، والذى يشعرك بانك في قصر وليس فقط فيلا حيث ارضية ساحة الاستقبال من الرخام الابيض يكسوها بعض المفارش من السجاد الحريرى الفاخر وانتريه من الجلد الطبيعى الفاخر ، وحوائط مزينة بالعديد من التابلوهات والرسومات ، مع اعمدة مكسوة كذلك برخام اخضر هندى ، وسقف يتدلى منه ثرية ضخمة من النحاس والمحلاه بالكريستال ، يتوسط ذلك الاستقبال سلم حلزونى من الرخام الاسود بدرابزين حديدى يقودك إلي الطابق الاعلى ، يجلس سفيان مع مراوان على الانتريه و يطلب من الخادم بالفيلا احضار عصير ليمون ترحيبا بصديقه ، وما هي الا لحظات حتى وكانت هناك وقع اقدام تهبط درج السلم المؤدى إلي الطابق العلوى ، ليظهر رجلا مهاب الطلعة ، يرتدى بدلة سوداء ، طويل القامة ، ذو بشرة بيضاء ، ضخم البنية ، وراس صلعاء ، وفي يده سيجار من النوع الكوبى الفخيم ، وما ان شعر مروان بتلك الخطوات على السلم حتى

اخبر سفيان بان اباه هو المتدلى على السلم ، وهو خارج إلي مكتبه ولن يجلس معهم طويلا ، وما ان انهى مروان كلامه لصديقه حتى كان سرحان بيه الطرابلسى والد سفيان يلقى عليهم السلام ، فينهض كلا من مروان وسفيان

واقفين ليسلما عليه ، ويسارع مروان بان يعرف اباه على سفيان ، مخبرا إياه بانه اعز أصدقائه ويعتبره كاخ له ، ويقوم الاب بمصافحة سفيان مرحبا به ، ويطالبهم بالجلوس وينضم اليهم وهو يرحب بسفيان ، واخذ مروان يمدح في صديقه امام ابيه ، جلس الرجل مستندا

بظهره إلي مقعد الانتريه الفخم الذى يتوسط بهو الاستقبال ويضع قدم على الاخرى ، وهو يمسك باسنانه على السيجار وبين الحين والأخر يشد من دخانه وينفثه ممزوجا بثقة فى نفسه ومكانته فهو رجلا كالاخطبوط جسدا واحد واذرع متعدده منها الباطشة ومنها النافذة ، واخذ يهز راسه وهو يبتسم من تندر مروان على صديقه واستمر مروان يحكى لابيه مادار بين سفيان والدكتور رياض وكيف ناقش الدكتور رياض في خطأ الاعتماد على بعض المصادر التاريخيه والتسليم بها بشكل مطلق ، وان هناك مؤلفات عربية سبقت شامبليون إلي فك رموز اللغة المصرية القديمة وان هناك سبل أخرى في التفكير والبحث ينبغي الاعتماد عليها للوصول للحقائق سواء كانت تلك الحقائق متعلقة بالفهم الجيد لاحداث التاريخ او حتى البحث الجيد عن الاثار والكنوز القديمة ، وعند هذه النقطه بدأت تظهر على الاخطبوط مظاهر الاهتمام والجديه والانصات ، واعتدل في جلسته ووجه حديثه إلي سفيان ، مستفسرا :

-- ماذا تقصد يا سفيان بالطرق الأخرى في التفكير والبحث عن الكنوز .

... يصاب سفيان بشيء من الارتباك ويشعر وكانه في امتحان ، فالرجل تبدوا عليه مظاهر الهيبه وتلك اول مره يقابله ، فبدأ يجيب بشيء من الاجابات العشوائية

-- ليس لدى شيء محدد يا فندم ولكن بشكل عام ينبغى الخروج عن تلك الطرق التقليدية التى اعتدنا عليها عشرات السنين ، فان توصلنا لاساليب جديدة يقينا سنصل إلي نتائج جديدة بل سنفهم الكثير من الاسرار الخفية علينا خاصة اننى عثرت على احد الكتب القديمة التى لم ينتبه اليها احد و بهذ الكتاب الترجمة الاصلية للغة المصرية القديمة والتى اعتمد عليها شامبليون ذاته فى فك طلاسم تلك اللغة وهذا الكتاب توصل إلي فك رموز اللغة المصرية القديمة وهذا كان قبل شامبليون بمئات السنين وهو ما اعتمد عليه فى ترجمته .

... نظر الطرابلسى إلي سفيان وابتسم وشعر بارتباكه . وحاول ان يخفف عنه قائلا:

-- اسمع يا سفيان ، انا سأذهب الان إلي المكتب ولكن ان شاء الله لنا مقابلة أخرى نتكلم بشكل موسع

اتفقنا ؟؟

-- يشرفنى يا فندم ان أتكلم مع حضرتك

... ينظر الطرابلسى إلي ولده مروان سائلا اياه عن اخته سمية ، فهو لم يرها منذ الامس ، ويخبره مروان بانها في غرفتها تقرأ وتذاكر دروسها .

-- حسنا ساصعد لاراها .

... يتركهما الطرابسى ويصعد إلي غرفة سمية ابنته فلا يجدها ، ينادى على الخادم ويساله عنها فيخره با نها خرجت للتوا إلي الحديقة ، فيخرج الطرابلسى إلي الحديقة ليجد سمية جالسة ، امام حمام السباحة وبيدها كتاب تقرأه ، فيسلم عليها بترحاب كبير ويحتضنها ويسالها عن اخبارها واحوالها ويأتى بكرسى ويجلس إلي جوارها ، وياخذ فى الاطمئنان عليها والسؤال عن اخبارها وتوجه له سمية العتاب بانه كثير السفر وحتى حين يكون فى مصر يغيب فى العمل لوقت متاخر ،

... لم تستمر جلسة سفيان ومروان طويلا ، حتى استأذن سفيان من صديقة للعودة إلي بيته ، وفى طريق خروجهم من الفيلا وجدا الطرابلسى وابنته جالسان فى الحديقة امام حمام السباحة ، فنادي الطرابلسى على سفيان ومروان داعيا إياهما للانضمام اليهما .

لم يبدى سفيان اى مقاومة في الاستجابة ، حيث راها فرصة لتبادل الحديث مع سمية وتوثيق العلاقة بينهما ، وحاول الطرابلسى ان يعيد بشكل غير مباشر امر البحث والتنقيب عن الاثار وما يراه سفيان في هذا الشان ، واخذ سفيان يسترسل في الحديث بشكل اكثر ثقة تلك المرة وان الكتاب الذى معه يحوى ترجمة صحيحة للغة الهيروغليفى إلي اللغة العربية وأخذ يشكك في كثير من الروايات التاريخية من جهة وان لديه من المعلومات والكتب السابقة ما يجعل البحث والتنقيب يقوم على اسس سليمة وحيث يملك من التراجم القديمة الاصلية

التى اعتمد عليها شامبليون فى ترجمة نصوص حجر رشيد ، ويرى ان يتم التفكير والنظر للتاريخ بطريقة جديد من جهة أخرى ، و يحاول بين لحظة وأخرى اثناء حديثه ان يختلس النظر إلي سمية ، التي بقيت تتابع الحوار بين ابيها وسفيان ، وكذلك تعليقات اخيها التي تتسم بالسخرية بين الحين والأخر ، واخذت الرهبة تزول شيئا فشيئا عن سفيان ، وبدأ يوجه الحديث تارة نحو للطرابلسى وتارة نحو سمية ، والتى أخذت تستغرب من حديثه وكمية المعلومات وترى فيه شاب مثقف وواعى ومطلع و بدات تشعر نحوه بشيء من الاهتمام ، واخذت تبادله الحديث قائلة:

-- انا احب قراءة التاريخ وارى انه من اهم مصادر الثقافة ، فالتاريخ والشعر بالنسبة لى مصادر أساسية للمعرفة ، ولكن بناء على كلامك يا سفيان أظن ان التاريخ بحاجة إلي إعادة تقييم !!

-- نعم هو كذلك فما الذى يدعونا ان نسلم بأخبار ومعلومات ولن اقول حقائق نحن فى شك منها ، نعم هناك الكثير من المعلومات تحتاج اعادة البحث والتدقيق ، فنحن مثلا ندرس الحضارة المصرية القديمة ، فهل يعقل ان اثر مثل تمثال أبو الهول والمنطقة المحيطة بيه تكون خالية من اى اثار ودفائن وربما كنوز لا تعد ولا تحصى ، في حين نجد الاثار في مناطق نائية في الصحارى والجبال وقرى واسفل المنازل ، العقل والمنطق يحتم بان تلك المنطقة وحولها واسفلها مليئة بالكنوز ...

... الطرابلسى ينظر إلي سفيان بكامل حواسه وينتبه لكل كلمة ويعقب على اى جزئية يشعر انها مبهمة عليه او يرى انها جديرة بالتفصيل ثم سئل سفيان :

- ولما لم تقم الذولة يا سفيان والمعنيين بالامر بهذا التنقيب والبحث ان كان الامر يقينا هناك شيء ، و طالما المنطق يحتم وجود كنوز فيها ؟؟

-- نعم يا فندم كان يفترض هذا ، قد سالت بعض الدكاترة لدينا بالجامعة نفس هذا السؤال ، واخبرونى بانه حدثت محاولات تنقيب ولكن على اعماق بسيطة ، ولكن امرا كهذا يحتاج إلي تنقيب عميق ، نحن نتحدث عن حضارة مدفونة من الاف السنين ، ان شاء الله انوى عمل بحث واجمع بيانات كاملة واضع رؤيتى لذلك الامر ، وانا على يقين اننا سنجد اكتشاف عظيم في ذلك المكان .

... تنظر اليه سمية باعجاب بادى في عينيها ، ويقرأ سفيان تلك النظرة . وتبادره بالقول:

-هل انت مثقف فى التاريخ فقط يا سفيان ام لك أهتمامات اخرى ؟؟

.. يبدى سفيان اعتراضه على كلمة مثقف معتبرا اياها بانها ليست دوما ذات معنى ايجابى ، فالقراة فى المطلق يمكنها ان تنطوى على سلبيات ان لم تكن على قدر من نقد ما تقرأ بل يمكن ان يتشرب الانسان افكارا خاطئة ان لم تكن القراءة بها وعى ونقد ، وهذا ما وقعنا فيه حين سلمنا بمعلومات تاريخيه والشك يحيط بها فى الواقع ، وسمية تستمع له وهى مبهورة بلباقته واسلوبه فى الحديث.

... يهب الطرابلسى واقفا منهيا الجلسة ومتوجها إلي مكتبه ويسير بجواره ولده مروان وسفيان مرافقان إياه إلي باب الفيلا حيث ينتظره السائق بسيارة مرسيدس سوداء ، تكسوا نوافذها الستائر ، ويخبر الطرابلسى سفيان بسعادته للحديث معه ويسلم عليه ، ويركب سيارته ويجلس في المقعد الخلفى مشيرا إلي سائق السيارة بالتحرك نحو المكتب ، ينظر مروان إلي صديقه سفيان ويساله عن انطباعه عن ابيه ، فيثنى سفيان عليه وعلى مهابته ، وثقافته ويبدى تعجبه من انتباه ابيه حين عرف بما يدور في راسه من أفكار خاصة حول الاثار ، ثم يبدأ سفيان في الاحتيال للحديث حول سمية ومحاولة ايجاد طريقة يتواصل بها معها ، فيسأل مروان بشكل تهكمى :

-- لما يا مروان لم تكن كاختك محبا للقراءة والثقافة ؟!

-- كلا ، تعجبنى حياتى هكذا ، انا لا اميل لكثرة الاطلاع التي تروق لكم.

... حاول ان يراوغ بطريقة أخرى للاقتراب من سمية :

-- اتدرى يا مروان انه من كثرة محبتى للشعر والثقافة بانى اكتب الان خواطر واشعار ولكنى لا ادرى مدى جودتها .

-- اعطنى إياهم وانا اجعل سمية تطلع عليهم وتعطيك فيهم القول الفصل .

... هنا شعر سفيان انه وجد ضالته ، ونجح في مراده ، وهو إيجاد طريقة يتواصل بها مع سمية .

... ثم أستأذن سفيان من صديقة ليعود إلي بيته على ان يراه لاحقا في في الجامعة . وعاد سفيان للبيت مع حلول المساء تملؤه الفرحة والسعاده ، واصطدم بامه كالعاده والتي وبخته على غيبته طول اليوم لدى صديقه ، وقص عليها ما دار في منزل صديقة وعن اخته سمية ، واشفقت عليه امه ان يصطدم بواقع اليم ، وذكرته بفارق المستوى الشاسع بينهم وانه ان كان يدور بخلده الارتباط بها فان اباها لن يرضى ، ليخرج سفيان من حالة السعادة التي انتابته منذ كان لدى صديقه ، وبدأ يقتنع بكلام امه ، وتولد داخله صراعا بين واقعه المادى الذى يمنع هذا التقارب وبين قلبه الذى يميل نحوها ، ودخل غرفته واستسلم للنوم وهو على تلك الحالة المضطربه ، ثم تذكر فجأة تلك الاشعار والخواطر التي اخبر بها مروان فهو ليس لديه في الواقع تلك الاشعار ولم يكتب شيء ، فنهض واحضر اجندة وقلم وحاول ان يكتب اى شيء ولكن كلها كانت كتابات ركيكة حيث حالته النفسية لم تسمح له بأكثر من ذلك ، فعاد للنوم مرة أخرى

****